الهوية والشرعية في السياسة الفلسطينية
الأسس لاستراتيجية نضالية جديدة

يزيد صايغ

«لن نحصل على شيء الا اذا واصلنا اطلاق النار على العدو... يجب ان نطلق النار، لأن ذلك هو مبرر وجودنا».

بهذه الكلمات أوجز ضابط فدائي فلسطيني جوهر المأزق الذي بات يواجه حركة الشعب الفلسطيني المعاصرة، في منتصف الثمانينات. فقد عبّر، اولاً، عن حقيقة هامة هي ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تزال تحتاج، لاثبات قدرتها، واظهار مكانتها، وتعزيز مصداقيتها، الى تقويض الامن الاسرائيلي، وزعزعة الاستقرار الاقليمي، وتجميد المبادرات السلمية التي تستثني م.ت.ف. والفلسطينيين؛ وفي سياق ذلك يمكن تفسير لجوء م.ت.ف. الى اعادة بناء التواجد السياسي ـ العسكري في لبنان دون كلل، ضمن اعتبارات اقليمية ومحلية على حد سواء؛ كما عبّر، ثانياً، عن الحاجة التقليدية الى تثبيت الشرعية والهوية الفلسطينيتين، وذلك من خلال الكفاح المسلح.

على المستوى الاول من التحليل، ثمة مفارقة اساسية بين الواقعي وبين المثالي. فقيادة م.ت.ف. تريد ان تدخل اطار العملية السلمية لحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي من اجل ان تحصل على تسوية بالتفاوض تؤدي الى قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتؤدي الى الاعتراف باسرائيل، أكان ذلك كأمر واقع أم كحقيقة قانونية. لكن القيادة الفلسطينية تدرك انها لن تنجح بمسعاها ذاك، الا اذا اظهرت علاقتها وضرورة وجودها كقوة سياسية فاعلة ضمن تلك العملية التفاوضية. وذلك يعني مزيجاً من الاستعراض السلبي (اعادة المبادرات الدبلوماسية التي تتجاهل م.ت.ف. والحقوق الفلسطينية) والاستعراض الايجابي (تعبئة التأييد الشعبي الفلسطيني بجميع مظاهره). وتحتل السبل العسكرية الموقع المركزي بين الوسائل المتاحة للمنظمة لتحقيق الغايتين الاستعراضيتين المذكورتين. غير أن الولايات المتحدة الاميركية ودول اوروبية غربية تضع شرطاً مبدئياً على اشراك م.ت.ف. في أي حل، مفاده التخلي عن الكفاح المسلح؛ وهذا، ما لم تفعله القيادة الفلسطينية وما يصعب عليها أن تفعله. اذن، فالمأزق يتمثل في ان سبيل م.ت.ف. الى تجنب «التهميش»، ألا وهو العمل المسلح، هو عينه السبيل الذي يفوت عليها امكان التحول الى شريك مفاوض. أو هكذا، على الاقل، تبدو الامور.

هنا ينبغي طرح السؤال: هل يصح هذا التقدير «المتشائم» للموقف ؟ فمنظمة التحرير كانت تكسب المواقع الدبلوماسية باستمرار في اوروبا قبل الاجتياح الاسرائيلي للبنان العام ١٩٨٢، وكانت تقيم وتطور الاتصالات غير الرسمية مع الادارة الاميركية، على الرغم من تمسك المنظمة